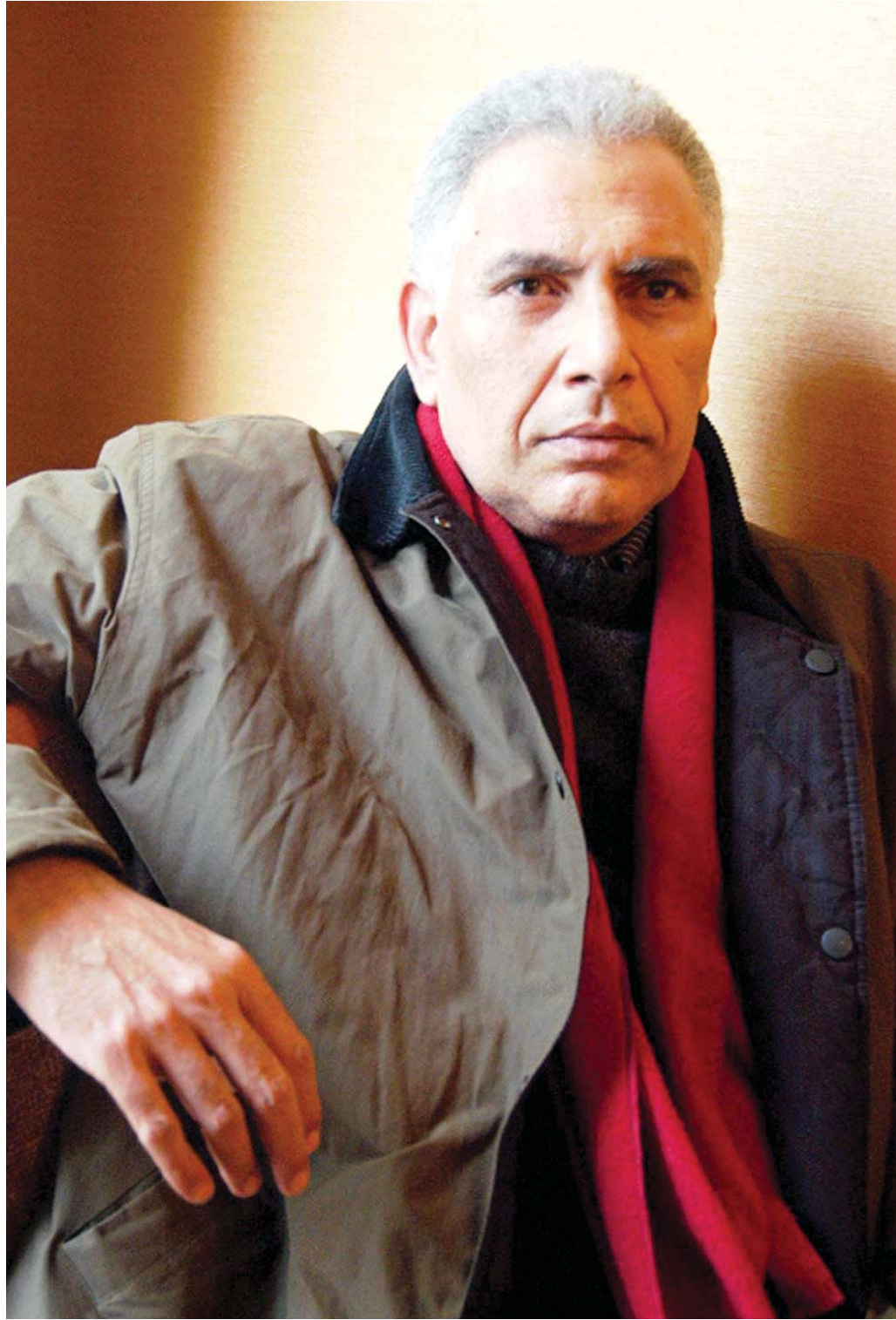


شجرة السبعينات بمصر تفقد أوراقها غياب رفعت سلام خسارة للشعرية الجديدة وحركة الترجمة



يعتبر جيل السبعينات في الشعر المصري من أبرز وأهم الأجيال، نظرا إلى كونه حقق نقلة كبيرة للنص الشعري. ولم يأت هذا من فراغ، حيث إن هذا الجيل كان خارجا من حمولات فكرية تحررية وتنويرية، وهو ما ظل عناصره يقدمونه إلى اليوم، ومع رحيل أي منهم يتراجع مد التنوير خطوة إلى الوراء.

شريف الشافعي
كاتب مصري

القاهرة - يترجل رفعت سلام، الأحد، عن عمر ناهز 69 عاما بعد صراع مع المرض، تصل شجرة السبعينات بمصر إلى خريفها القاسي: شعرا، وترجمة، حيث تأثرت الحساسيات الشعرية كثيرا بغيابه ومن قبله رفيقه حلمي سالم، كما تلقت حركة الترجمة ضربة جديدة مؤلمة برحيله بعد فجيعة غياب ابن جيله محمد عبد إبراهيم.

شكلت تجربة سلام حالة فريدة تخصه وحده على أكثر من مستوى، ما جعله من أكثر المؤثرين من أبناء جيل السبعينات بمصر والعالم العربي، وتصلحت وجوهه المتعددة كشاعر ومترجم وصحافي وكاتب مع مواقفه الشخصية والعامة كإنسان ومثقف، فهو الواضح دائما بغير مواربة، الثابت على آراء محددة عند انحراف

الدراسات المقارنة المعاصرة في العالم العربي، أصولها المعرفية وقضاياها الفكرية، مشاركة عدد من الباحثين؛ إذ خصص المحور الأول من الملتقى للأصول المعرفية والفلسفية للدراسات المقارنة العربية المعاصرة، في حين تناول المحور الثاني المقارن، في الدراسات الأدبية المقارنة من حيث الأدب العام، والأدب العالمي، ودراسات الترجمة وجماليات الاستقبال الأدبي، وتناول المحور الثالث التجارب التطبيقية العربية في الدرس المقارن المعاصر، بينما خصص المحور الرابع لمناقشة تحولات الدراسات المقارنة المعاصرة.

وقدم الملتقى الذي استُخدمت فيه تقنية التحاضر عن بعد، المجال واسعا أمام الباحثين لعرض رؤاهم بخصوص هذا الموضوع، إذ أشار الباحث عبدالقادر بوزيدة إلى عدم وجود مدرسة عربية في الأدب المقارن، داعيا إلى تضافر جهود المقارنين من أجل تكسير مسالة وجود أدب متفوق على أدب آخر.

وقدم الباحث طيب بودريالة مداخلة عن رؤية الباحث الفرنسي رونيه إيتاميل للشرق، ركز فيها على مسألة الوعي المبكر في ما يتعلق بانحراف الدراسات المقارنة في فرنسا، وكيف نقد إيتاميل توجهاتها المركزية، حتى صارت أشبه بمدرسة قائمة بذاتها من خلال دعواته للنظر إلى الآداب والفنون كلها، باعتبار أنها تشترك في خصائص معينة، وأنه لا أفضلية للأدب الخمسة الكبرى (الأوروبية) على غيرها من الآداب، خصوصا العربية والأفريقية.

وتناول الباحث وحيد بن بوغريز في مداخلة "فخ المنافي أو الأدب في خدمة الإمبراطورية"، مسألة المركز والهامش، وتأثير التصور المركزي الغربي في تحديد السياسة، خاصة تجاه البلدان الأفريقية والآسيوية، ودور الحواضر الأوروبية في تدجين المثقف في العالم الثالث وتعويقه. وأشار إلى أن الملتقى تناول أيضا علاقات الآداب ببعضها البعض، ومسائل الهوية، والاختلاف الثقافي، وفي انتظار ملتقيات أخرى حول الأدب المقارن، سيظل مصطلح "الأدب المقارن" مصطلحا خالفيا، لأنه ضعيف الدلالة على المقصود منه. وقد نفده الكثير من الباحثين ولكنهم في النهاية أثاروا الاستمرار في استعماله نظرا لشيوعه، وتحتاج إليه الثقافة العربية بشدة اليوم لتبيان تأثير الثقافة الغربية فيها، وتجاوز المغالطات والأحكام المسبقة وتحقيق الانفتاح على الآخر.

وسلط الحضور الجماعي لجيل السبعينات الشعري، برزت خصوصية رفعت سلام كطاقة خلاقة وموهبة مترفة، فالنظير النقدي شيء، وتحويل هذه الأفكار والنظريات المتكررة إلى واقع شعري أمر آخر. وعبر دواوينه المتلاحقة "وردة الفوضى الجميلة" و"إشراقات" و"إلى النهار الماضي" وغيرها، ترسخت تقنيات كتابة التشظي والتفتت والأصوات المتعددة والأنا المنقسمة، وخفت إيقاع المطلق والشعري، وتحولت اللغة إلى متاهات مجازية تعكس دوامات الحياة وتخططاتها، وانفتحت الحالة كلية على الجنون الكامل، وكما جاء في إحدى قصائده "قال: أنت سيدي/ قلت: أنت مؤيدي/ متى تكون؟/ قال: حين تغدو سيدي الجنون".

رسم سلام إمكانية نسج خيوط وعطور من الفوضى والسراب، فبإمكان القصيدة عبر بلاغياتها المتداخلة وصورها الكثيفة إعادة تدوير رائحة الشتات ومذاقات النبد والتلاشي. ومن ظلال الإنسان البدائي البعيد، الذي لا يمكن أن يفرض، تأتي أضواء نقية ونشارات متوهجة تعين على مواجهة عالم قمعى زائف، وتعيد كتابة التاريخ وفق رؤية الفاعلين لا المستسلمين للقوى القاهرة. صارت

ملتقى جزائري افتراضي حول الأدب المقارن عند العرب

يسجل نقطة إضافية شديدة الأهمية. لكن الأدب المقارن كمبحث في الثقافة العربية ما زال يعاني من قصور رغم أهميته الملحة اليوم، لتناغم العلوم الإنسانية، ولخلق صورة أكثر انفتاحا وتوازنا للذات وللآخر. ومن هنا جاءت فكرة إنشاء ملتقى خاص بهذا المبحث في الجزائر.

وفي إطالة على أهم قضايا الأدب المقارن اليوم انتظم الملتقى الوطني الأول حول الأدب المقارن، الذي احتضنته جامعة يحيى فارس بمحافظة المدية جنوب الجزائر، وقد خصص الملتقى إلى أن هذا المجال ما زال يفتقر للبحث والدراسة من أجل تكريس هوية أدبية معينة. وشهد الملتقى الذي حمل عنوان "الدراسات المقارنة المعاصرة في العالم العربي، أصولها المعرفية وقضاياها الفكرية"، مشاركة عدد من الباحثين؛ إذ خصص المحور الأول من الملتقى للأصول المعرفية والفلسفية للدراسات المقارنة العربية المعاصرة، في حين تناول المحور الثاني المقارن، في الدراسات الأدبية المقارنة من حيث الأدب العام، والأدب العالمي، ودراسات الترجمة وجماليات الاستقبال الأدبي، وتناول المحور الثالث التجارب التطبيقية العربية في الدرس المقارن المعاصر، بينما خصص المحور الرابع لمناقشة تحولات الدراسات المقارنة المعاصرة.

وقدم الملتقى الذي استُخدمت فيه تقنية التحاضر عن بعد، المجال واسعا أمام الباحثين لعرض رؤاهم بخصوص هذا الموضوع، إذ أشار الباحث عبدالقادر بوزيدة إلى عدم وجود مدرسة عربية في الأدب المقارن، داعيا إلى تضافر جهود المقارنين من أجل تكسير مسالة وجود أدب متفوق على أدب آخر.

وقدم الباحث طيب بودريالة مداخلة عن رؤية الباحث الفرنسي رونيه إيتاميل للشرق، ركز فيها على مسألة الوعي المبكر في ما يتعلق بانحراف الدراسات المقارنة في فرنسا، وكيف نقد إيتاميل توجهاتها المركزية، حتى صارت أشبه بمدرسة قائمة بذاتها من خلال دعواته للنظر إلى الآداب والفنون كلها، باعتبار أنها تشترك في خصائص معينة، وأنه لا أفضلية للأدب الخمسة الكبرى (الأوروبية) على غيرها من الآداب، خصوصا العربية والأفريقية.

وتناول الباحث وحيد بن بوغريز في مداخلة "فخ المنافي أو الأدب في خدمة الإمبراطورية"، مسألة المركز والهامش، وتأثير التصور المركزي الغربي في تحديد السياسة، خاصة تجاه البلدان الأفريقية والآسيوية، ودور الحواضر الأوروبية في تدجين المثقف في العالم الثالث وتعويقه. وأشار إلى أن الملتقى تناول أيضا علاقات الآداب ببعضها البعض، ومسائل الهوية، والاختلاف الثقافي، وفي انتظار ملتقيات أخرى حول الأدب المقارن، سيظل مصطلح "الأدب المقارن" مصطلحا خالفيا، لأنه ضعيف الدلالة على المقصود منه. وقد نفده الكثير من الباحثين ولكنهم في النهاية أثاروا الاستمرار في استعماله نظرا لشيوعه، وتحتاج إليه الثقافة العربية بشدة اليوم لتبيان تأثير الثقافة الغربية فيها، وتجاوز المغالطات والأحكام المسبقة وتحقيق الانفتاح على الآخر.

وقدم الملتقى الذي استُخدمت فيه تقنية التحاضر عن بعد، المجال واسعا أمام الباحثين لعرض رؤاهم بخصوص هذا الموضوع، إذ أشار الباحث عبدالقادر بوزيدة إلى عدم وجود مدرسة عربية في الأدب المقارن، داعيا إلى تضافر جهود المقارنين من أجل تكسير مسالة وجود أدب متفوق على أدب آخر.

وقدم الملتقى الذي استُخدمت فيه تقنية التحاضر عن بعد، المجال واسعا أمام الباحثين لعرض رؤاهم بخصوص هذا الموضوع، إذ أشار الباحث عبدالقادر بوزيدة إلى عدم وجود مدرسة عربية في الأدب المقارن، داعيا إلى تضافر جهود المقارنين من أجل تكسير مسالة وجود أدب متفوق على أدب آخر.

وقدم الملتقى الذي استُخدمت فيه تقنية التحاضر عن بعد، المجال واسعا أمام الباحثين لعرض رؤاهم بخصوص هذا الموضوع، إذ أشار الباحث عبدالقادر بوزيدة إلى عدم وجود مدرسة عربية في الأدب المقارن، داعيا إلى تضافر جهود المقارنين من أجل تكسير مسالة وجود أدب متفوق على أدب آخر.

الجزائر - يعتبر الأدب من أهم أشكال التعبير البشري، والتي من خلالها يمكن للإنسان أن يعبر عن كل ما يجول في نفسه من أفكار ومشاعر وعواطف وهواجس وخواطر بأسلوب راق وجميل، ويندرج تحت مفهوم الأدب الكثير من الأشكال والألوان الأدبية منها: النثر والشعر والقصة والرواية والمقالة والخاطرة وغيرها. لكن الأدب لا يرتبط بالذات فحسب، بل هو في ارتباط وثيق باللغة التي يكتب فيها وبالتالي بالامة أو الشعب أو الجماعة التي ينتمي إليها من خلال اللغة، كما أنه يتجاوز الارتباط اللغوي إلى الارتباط التاريخي، حيث يعد الأدب المخزن التاريخي والثقافي واللغوي للأمم، لكن هذه الأمم تتأثر بأمم أخرى، وفي تلاقح الأمم يتأثر الأدب، ومن هنا ولد مصطلح "الأدب المقارن".

يمكن تعريف الأدب المقارن بأنه علم يقوم على دراسة الآداب خارج حدود بلد معين، أي مقارنة أدب ما مع أدب آخر مختلف أو مع مجموعة من الآداب الأخرى، ويشمل أيضا مقارنات الأدب مع مجال آخر من مجالات التعبير الإنساني ودراسة علاقة هذا الأدب بذلك المجال، أي علاقة الأدب بأشكال أخرى من أشكال المعرفة والفنون والتعبير كالرسم والعمارة والموسيقى والنحت والديانات والفلسفة والاقتصاد وعلم الاجتماع والتاريخ وغيرها.

الثقافة العربية تحتاج اليوم إلى تكثيف البحوث حول الأدب المقارن لتجاوز المغالطات والأحكام المسبقة وتحقيق الانفتاح

ويبحث الأدب المقارن في العلاقات التي تنطوي على التشابه والتأثير والقرابة بين مختلف الأمم، ويحاول أن يقرب بين الآداب ومجالات المعرفة ومجالات التعبير الأخرى. وكذلك يسعى للقرابة بين الظواهر والنصوص الأدبية، وذلك رغم وجود خلاف حول دقة مدلول هذا المصطلح والمراد منه، لأن الأدب المقارن منهج في دراسة الأدب وليس أدبا إبداعيا.

وترجع نشأة الأدب المقارن إلى العقد الثالث من القرن التاسع عشر، وربما إلى سنة 1827 حين بدأ الفرنسي ابل فيجيمان يلقي محاضرات في السوربون بباريس حول علاقات الأدب الفرنسي بالآداب الأوروبية الأخرى. والجدير بالذكر أنه استعمل فيها مصطلح "الأدب المقارن" وإليه يعود الفضل في وضع الأسس الأولى لمنطقه ومنطقته، في وقت بدأ يشهد تصاعد اهتمام العلوم الإنسانية في أوروبا بالبعد المقارن في المعرفة، إذ نشأ "القانون المقارن" و"فقه اللغة المقارن" و"علم الاجتماع المقارن" وغيرها.

ويلاحظ في التعريف السابق للأدب المقارن أنه ينطلق من فكرة التأثر والتأثير ليتجاوزها إلى المشابهة، أي أنه يركز على العلاقات ولا يجعلها شرطا لازما، وأنه يضيف بعدا جديدا إلى منطقة الأدب المقارن بدفعه إلى دراسة العلاقات بين الأدب وحقول المعرفة الأخرى ولاسيما الفنون. وبذلك

شاعر خاض مواجهاته الفكرية دون انحياز

القصيدة لدى سلام مشروعا متعدد اللبانات، كجدارية تشكيلية كبيرة تكتمل عناصرها ومفرداتها يوما بعد يوم، فعم الإيحاء الظاهري بالخراب، فمة أبنية تترامض، وانساق تتجاوز وتتحاور، وأزمنة تتشابك، وموسيقى وإيقاعات تهمس وتضخب، وصراعات تنبئ برغبة في المقاومة، والمبادرة، والإصرار، أملا في نهوض وتحليق بعد الهزائم والانكسارات.

كتبت الشاعرة "وردة المياغثة" تنفوس - على وسادتي - في النوم، ولولة، وأنقاصا، ونوما فانتا، وأجداثا، وسما من أرق/ تنطو على سجايري وفياي، وتخطف الكلام من فمي، وتطلقه إلى السكينة: فيرانا، وضفورا، وسبقا.

صوت الرفض ثقافيا وإنسانيا ينتسب صوت رفعت سلام إلى معسكر الرفض والمعارضة، على الرغم من أنه لم ينضم إلى حزب سياسي أو تنظيم أيديولوجي بلورت مواجهاته الفكرية صورة المثقف المستقل، غير المنحاز للسلطة ولا المتواطئ معها بأي شكل من الأشكال، حتى حين يتولى إدارة سلسلة كتب من مطبوعاتها، كما حدث

رئاسة تحرير سلسلة "أفاق عالمية" المعنية بالترجمة، التي تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة، بسبب الروتين والتدخل في صلاحيات عمله، معتبرا أن ذلك جرم ثقافي لا يُغتفر.

وقد تصدى لترجمة مؤلفاتهم وأعمالهم الكاملة، في جهد فردي يعادل جهود مؤسساتها، على الرغم من ممارستها عمله بروح الهواوي المتوثق، حال نقله الكلمات والتركييب الشعرية برشاقة إلى العربية.

هذه الذائقة الخاصة، هي التي دفعته إلى التخصص في ترجمة الشعر، فن التجديد الأول مظلما يراه، وكانت المعادلة الصعبة على مدار مشواره الطويل هي تمكنه من تقمص أرواح هؤلاء الشعراء جميعا من رموز الحدأة، وتقديمه كل واحد منهم بحيادية، متعريا عن طريق الأداء الحزبي أو السياسي "جسدي يرفض

القصيدة لدى سلام بالرهان على الكلمة للتعبير عن التمرد والرغبة في التفجير، واعتبر أن الثقافة كقنبلة بان تقود الثورات المجتمعية وتنير طريقها. وجاء الانتقاد لديه مسببا عادة، ومشفوعا بأدلة وبراهين، فهو ليس مجرد هجوم على المسؤولين من أجل الهجوم، وإنما لتبيان خارطة الإصلاح.

تناول سلام بجرأة وحرية قضايا الشأن العام، وانحاز للشعور العربية التي شهدتها الميادين خلال السنوات العشر الأخيرة، واتخذها سلام بوابة لتعرية الأنظمة الفاسدة على كل المستويات، ومن أسوأ هذه الأنظمة في رأيه الكيانات الثقافية الانتهازية المدخنة، التي نمت وتوزعت في حوض السلطة، وحظائر الانتفاع والترويض.

يقول الشاعر "عصيان في المرعة، خريق في حقول/ خورة دائمة أم فسادا نفعل بكافكا ويوبلير في فردوسنا القادم؟/ اقتربت ساعة الصفر، فمن سيطلق الضفارة؟".

مع اقترابه المباشر من التنظيمات والحركات السياسية، خصوصا اليسار الذي صاحب شخصياته البارزة، واحتك بمبديهيه وخالف مفكره ونقاده وكنايه، وأثر سلام التمسك بالمواجهة والمعارضة عن طريق القلم والفكر والإبداع، وليس عن طريق الأداء الحزبي أو السياسي "جسدي يرفض

القصيدة لدى سلام مشروعا متعدد اللبانات، كجدارية تشكيلية كبيرة تكتمل عناصرها ومفرداتها يوما بعد يوم، فعم الإيحاء الظاهري بالخراب، فمة أبنية تترامض، وانساق تتجاوز وتتحاور، وأزمنة تتشابك، وموسيقى وإيقاعات تهمس وتضخب، وصراعات تنبئ برغبة في المقاومة، والمبادرة، والإصرار، أملا في نهوض وتحليق بعد الهزائم والانكسارات.

كتبت الشاعرة "وردة المياغثة" تنفوس - على وسادتي - في النوم، ولولة، وأنقاصا، ونوما فانتا، وأجداثا، وسما من أرق/ تنطو على سجايري وفياي، وتخطف الكلام من فمي، وتطلقه إلى السكينة: فيرانا، وضفورا، وسبقا.

صوت الرفض ثقافيا وإنسانيا ينتسب صوت رفعت سلام إلى معسكر الرفض والمعارضة، على الرغم من أنه لم ينضم إلى حزب سياسي أو تنظيم أيديولوجي بلورت مواجهاته الفكرية صورة المثقف المستقل، غير المنحاز للسلطة ولا المتواطئ معها بأي شكل من الأشكال، حتى حين يتولى إدارة سلسلة كتب من مطبوعاتها، كما حدث

رئاسة تحرير سلسلة "أفاق عالمية" المعنية بالترجمة، التي تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة، بسبب الروتين والتدخل في صلاحيات عمله، معتبرا أن ذلك جرم ثقافي لا يُغتفر.

وقد تصدى لترجمة مؤلفاتهم وأعمالهم الكاملة، في جهد فردي يعادل جهود مؤسساتها، على الرغم من ممارستها عمله بروح الهواوي المتوثق، حال نقله الكلمات والتركييب الشعرية برشاقة إلى العربية.

هذه الذائقة الخاصة، هي التي دفعته إلى التخصص في ترجمة الشعر، فن التجديد الأول مظلما يراه، وكانت المعادلة الصعبة على مدار مشواره الطويل هي تمكنه من تقمص أرواح هؤلاء الشعراء جميعا من رموز الحدأة، وتقديمه كل واحد منهم بحيادية، متعريا عن طريق الأداء الحزبي أو السياسي "جسدي يرفض

تجربة رفعت سلام حالة فريدة، ما جعله من أكثر المؤثرين من أبناء جيل السبعينات في مصر والعالم العربي

وقد تصدى لترجمة مؤلفاتهم وأعمالهم الكاملة، في جهد فردي يعادل جهود مؤسساتها، على الرغم من ممارستها عمله بروح الهواوي المتوثق، حال نقله الكلمات والتركييب الشعرية برشاقة إلى العربية.

هذه الذائقة الخاصة، هي التي دفعته إلى التخصص في ترجمة الشعر، فن التجديد الأول مظلما يراه، وكانت المعادلة الصعبة على مدار مشواره الطويل هي تمكنه من تقمص أرواح هؤلاء الشعراء جميعا من رموز الحدأة، وتقديمه كل واحد منهم بحيادية، متعريا عن طريق الأداء الحزبي أو السياسي "جسدي يرفض